

إشكالية المصطلح السردى في كتاب (تحليل الخطاب الروائى) للناقد السعيد يقطين

The problem of the narrative term in the book (Analysis of the Narrative Discourse) by the critic Al-Saeed Yaqtin

أحمد مولاي لكبير

جامعة أحمد دراية أدرار، (الجزائر)، moulay.si.ahmed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/11 تاريخ القبول: 2021/09/23 تاريخ النشر: 2021/09/30

ملخص:

يسعى البحث إلى متابعة إشكاليات المصطلح السردى وطرائق بنائه عند الناقد المغربى السعيد يقطين من خلال تتبع المراحل المختلفة التي جسدت تعامله مع المنجز النقدي الغربى كما وردت في كتابه (تحليل الخطاب الروائى).

الكلمات المفتاحية: المصطلح السردى؛ تحليل الخطاب الروائى؛ للناقد السعيد يقطين.

Abstract :

The research aims to raise the problems of the narrative term and the different methods of creating it at Said Yaktin. By raising the steps that lead to a credible critical term.

key words: Narrative term; Narrative discourse analysis; Happy Critic Pumpkin.

مقدمة

المصطلح مفتاح العلوم وخلاصة المعرفة ومدخل مهم لحقول المعرفة، يفرز لدى تلقيه من لغة أخرى جملة من المعضلات اللغوية خاصة عند توليده، بوصفه الحامل لمفهوم مرحل من ثقافة إلى ثقافة، ومن حضارة إلى حضارة، ومن سياق سوسيو ثقافى إلى آخر مختلف، ومن بين تلك المشكلات ما يحدثه المحتوى المفاهيمى عند نقله من اضطراب المعانى وتوارد الترجمات الكثيرة والمربكة عند الأمم المستهلكة للمعرفة، بالنظر للإرث الإنسانى لنظرية المعرفة والتطور المتنامى لها من جهة، ولتفاوت التلقى والأرضية التكوينية من جهة أخرى.

والحال كهذه يتعين عل المترجم والمصطلحي أن يفهما السياق الاجتماعي والثقافي للمصطلح وارتخاله بين الأمم والثقافات قبل أن يمنحها الإشارة للاندماج ضمن منظومة الآخر المختلفة في اللغة والدين والبيئة.

لأجل ذلك يواجه المصطلح السردى الوافد إلى العربية معضلات كبيرة، لاسيما على مستوى ترجمة معناه ومفهومه للمتلقى العربي- الذي هو في موقع الاستقبال السلي-، وأيضاً نظراً لاختلاف المداحل الثقافية للنخب العربية(فرنسية -عربية- روسية)، وكذا اختلاف مستويات الإدراك وآليات الترجمة وضوابط صياغة المصطلح في لغة تعاني من تجاذب الريادة والمبادرة الفردية وغياب التنسيق والعمل المشترك، وتلك أسباب كافية لتوفير ظروف فوضى المصطلحات.

يعتبر الناقد المغربي السعيد يقطين من الباحثين الذين اشتغلوا على المصطلح السردى، وحاول توظيف المفردات السردية بحس نقدي ووعي منهجي لقراءة بعض الأعمال الأدبية، موظفاً المصطلح السردى بخلفية المدرسة السردية الفرنسية، وفق مفاهيم أعلامها من أمثال تدوروف، وجيرار جينيت، وجوليا كريستيفا، ورولان بارط، وليفي ستراوسن وغريماس وغيرهم، وذلك من خلال كتابه الرائد (تحليل الخطاب الروائي الزمن- السرد- التبئير)، وقد قسم الكتاب إلى شقين: شق نظري عرض فيه المصطلحات والمفاهيم، والشق الثاني تطبيقي على رواية (الزيني بركات) للروائي جمال الغيطاني. أحاول في هذا البحث رصد إشكالية المصطلح السردى لدى السعيد يقطين في هذا الكتاب.

أولاً: المصطلح والسرد محاولة لضبط المفاهيم

1-المصطلح: تأتي كلمة مصطلح في جذرها اللغوي من مادة "صلح" يقول ابن منظور "والصلح: السلم، وقد اصطلحوا وصالحو وصالحو وصالحو، واصّالحو" (منظور 1997، 60).

وقد تتبعت الكلمة في مظانها عبر مختلف المعاجم العربية، فما وجدتها تخرج عن مفاهيم السلم والمصالحة والاتفاق والتعاون والمواضعة وكل ما هو نقيض للفساد والخلاف.

ويعتبر المصطلح مصدراً ميمياً من (اصطلاح) تحول إلى الاسمى ليصير متخصصاً في هذا المدلول الجديد، وقد تساند اللغويون العرب المعاصرون على توظيف كلمة (مصطلح) فشاغت في أعمالهم ومصنفاتهم (منشورات 2008، ص22).

المصطلح عند القاضي علي الجرجاني(ت861هـ)، ويسميه الاصطلاح، وهو: " عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما، ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ عن معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما" (الجرجاني، 1998، ص44).

وقد عرفه الأستاذ خسارة بقوله "المصطلح أو الاصطلاح هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص". (خسارة 0000، ص13).

أما المصطلح عند الغربيين فهو " كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة علمية أو تقنية يوجد موروثا أو مفترضا للتعبير عن المفاهيم، ليدل على أشياء مادية محددة". (خسارة 0000، ص14)

وللمصطلح أركان ثلاثة هي : اللفظية، ونقل المعنى، والاتفاق، فما لم يتم الاتفاق بين الجماعة المعنية بالمصطلح يُعدّ خرقا للسلامة والعقد الاصطلاحي.

2-السرد: جاء في لسان العرب ما نصه " سرد الحديث ونحوه إذا يسرده سردا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردا إذا جيّد السياق له" (منظور 1997، ص250) ويتحدث ابن منظور مسترسلا في ذات السياق أنه من صفة الرسول عليه الصلاة والسلام " أنه لم يكن يسرد الحديث سردا، أي يتابعه ويستعجل فيه".

واستنتج من هذا التعريف أن السرد لغة يدور حول التابع والحكي.

أما في الاصطلاح فالسرد هو فعل الحكي المنتج، وإذا توسع شمل الموقف الواقعي والخيالي الذي يتخذ موقفه داخل العملية الحكائية، وهو دراسة شاملة لمجموع عناصر الحكي من أحداث وشخصيات وزمان ومكان وبنية دون تجاوز الوظيفة الدلالية، لأن كل عمل سردي يجب أن يدرس على الأقل من حيث الحكي والحدث والشخصيات والمكان والزمان وخصائص الخطاب التي توضح التقنيات الأساسية التي تبرز تقنيات السارد في ممارسته العملية السردية بمختلف تظاهراتها الدالة على أسلوبية الكاتب وانزياحاته الجمالية (قادري، 2003، ص23).

ويجده الأستاذ عبدالمملك مرتاض بقوله " السرد يطلق في الأعمال القصصية على كل ما خالف الحوار، ثم ما لبث أن تطور مفهوم السرد أيامنا هذه إلى معنى اصطلاحي أعم واشمل، بحيث أصبح يطلق على النص الحكائي أو الروائي أو القصصي أو حتى المبدع الشعبي (الحاكي) ليقدّم بها الحدث إلى المتلقي" (شرشار، 0000، 119).

يتضح أن مرتاض يعتبر السرد حمال للجملة من المفاهيم المتعددة والشاملة، ولم يعد مقتصرًا على دلالة ضيقة تحصره في جنس واحد أو اثنين فقط، بل يفتح على كل عمل فيه حكاية تقدم للمتلقى. والسرد ليس مجرد عرض للأحداث بطريقة محددة بل هو يرتبط بالأقوال والأفعال التي يقوم بها الفاعلون أو الشخصوس، وبالتالي فهو عملية فحص عميقة لجولة من العمل في مجال الحكى عامة. (قادري، 2003، ص 24).

أما مفهوم السرد عند السعيد يقطين فإنه يتحدد بوصفه واحدا من القضايا والظواهر التي نمت وترعرعت بشكل لاواعي في تراث العرب شأنهم شأن بقية الأمم الأخرى، وقد مارس العرب السرد - حسبه- بأنماط مختلفة وصور متعددة، لكن مفهوم السرد الجديد لم يتم بلورته بمحدداته الإجرائية ومدخله العلمية إلا في النصف الثاني من القرن العشرين.

ثانياً: تعامل السعيد يقطين مع المصطلح

يقدم سعيد يقطين نموذجاً مهماً في طرائق التعامل مع المصطلح الوافد. فهو لا يلتزم بنهج واحد لا يخرج عنه، بل يكيفه تبعاً لطبيعة ذلك الوافد أو لظروف تلقيه، كما أنه لا يتحرج في إعلان حاجة بعض المصطلحات للتوسع في تحديد المفهوم ومحاولة كشف ماهيته وطاقته الدلالية، لأنه يتبلور وفق تراكم المعرفة وتواصل البحث في الحقل المعرفي الواحد، وخضوعه للتداول والتطور بين مستعمليه، وبالتالي فهو يخضعه للتجريب والتقريب، ولذلك نجده يعتمد التعريب منهجاً مفضلاً ليحتفظ المصطلح بفاعليته وقوته، مثلما تعامل مع مصطلح الشعرية الذي اكتفى بتعريبه مستعملاً (البويطيقا) (يقطين، 1997، ص 30)، ولا يعني ذلك في نظره عجز العربية عن اقتراح مقابل ترجمي لما يقترحه المنجز الغربي، بل يقصد التروي في ذلك الاقتراح، إذ التسرع في مواكبة ذلك المنجز من شأنه أن يدخل المفهوم الوافد في دائرة الإسفاف والانفلات الدلالي، الذي لا يقود إلى تكوين وعي نقدي قادر على ترجمة المفاهيم إلى ممارسة تطبيقية تراعي خصوصية النصوص العربية. ويكفل التراكم بعد ذلك في الإسهام في إنتاج المعرفة.

ومن ثم يمكن رصد ثلاثة مستويات في تعامل سعيد يقطين مع المصطلح السردى الوافد

(يقطين، 1997، المدخل):

1- السعي إلى اقتراح ترجمات ملائمة لما يقترح مع شرط المعرفة باللغة المستعار منها والاطلاع الواسع على السياقات المعرفية والفلسفية التي أنتجت تلك المفاهيم. فهو مثلا لا يرى فائدة كبيرة في تكليف المترجم باقتراح مقابلات لذلك المنجز، فالمهمة عنده ينبغي أن يتكفل بها النقاد أنفسهم. فهم وحدهم القادرين على معرفة المرجعيات والأطر المعرفية التي يتحرك وفقها كل مفهوم. على الرغم من إيمانه بأن النقد العربي المعاصر لا تقترن أزمته بتعدد المصطلحات وتباينها، وإنما في عدم مراعاة الروح التي تسكن تلك المفاهيم وتترجم التصورات الدينية والاجتماعية التي كانت طرفا في ابتداعها.

وبالتالي فليس ثمة مفهوم بريء وأي محاولة لا تراعي مثل هذه الخصوصية تقود إلى الاضطراب والالتباس وعدم جدوى العملية النقدية في كليتها.

2- العمل على استلهم التراث بحثا عن مقابلات ملائمة، لا تعني بالضرورة أن ذاك التراث كان على علم سابق بها، أو أن القدامى كانوا سباقين لها.

فمثل هذا الأمر لا يحتمله ذلك التراث نفسه، إذ يتم إقحامه في جدل ثقافي عقيم ليس التراث طرفا فيه، وإنما القصد البحث عن سبل ناجعة في تكليف بعض المصطلحات التراثية للتعبير عن بعض المفاهيم المستجدة تشترك معها في السياق المعرفي.

فإذا علمنا أن المصطلحات السردية الغربية في غالبها مستمدة من البلاغة الكلاسيكية كما رسمت عند الإغريق، أو ما تم إحياءه في عصر النهضة مع فونتاني، ودي مارسيس، ومن ثم يصبح من المجدي البحث عن مقابلات بلاغية عربية لما يقدمه الغرب، وإذا علمنا أيضا أن البلاغة العربية لم تكن في معزل عن التأثير اليوناني أدركنا بيسر جدوى مثل هذا البحث.

3- اعتماد التعريب أسلوبا حين انتفاء الطرائق كلها، فمن الأفضل احتفاظ المصطلحات بتكوينها المورفولوجي الأعجمي حين لا يتفق على مقابل معقول، فبعض المصطلحات تحتفظ بعنفوانها حين لا تخضع للترجمة في انتظار اقتراح ما يقرب المفهوم ويضمن حد أدنى من التواصل.

رابعاً: المصطلح السردى في كتاب (تحليل الخطاب الروائي)

1-مصطلح الأدب ورتبية المفهوم

لا يخفى على الدارس في مجال الدراسات الأدبية الصعوبة الموجودة في تحديد مصطلح (الأدب) بوصفه كلمة تطورت دلاليا ومعرفيا، وهي لا تستقر على خصائص تميزها بحكم معايير الذوق والتجربة التي يختلف الناس حولها من زمن لآخر، ومن ثقافة لأخرى.

حاول السعيد يقطين في مدخل كتابه ضبط مصطلح (الأدب) بشيء من الحذر، ولذلك قرر الانتقال به من معناه الضيق إلى معناه الأوسع، أي الأدبية كخصائص نوعية، وذلك من خلال محاولة تدقيق المفهوم بالتمثل الوصفى التاريخي، بدءا بالشكلايين الروس (الأدبية) وصولا للمدارس التي رسمت معالم ما بعد البنيوية (النقد الثقافى)، وتوقف عند التقسيمات التي وضعها تدوروف للأدب:

أ- الأدب كمحاكاة (أرسطو، الكلاسيكية)

ب- الأدب كنظام (الرومانسية الألمانية)

ج- الأدب وفق مقاربات التوفيق (ويليكن فراي)

لكن السعيد يقطين يستدرك أن تحديد مفهوم الأدب صعب وعصي عن التحديد رغم كل المحاولات التي ستظل محدودة وقاصرة في مسعاها، ما لم يحدد الأدب موضوعه الذي يبحث فيه وخصائصه الفنية والجمالية غير المحددة وغير النهائية (يقطين، 1997، ص14).

وينتهي يقطين بالأدب إلى الشعرية التي يسميها البويطيقا - كما أسلفنا-، ويصفها بالمتجددة والحاملة بتحديد موضوعها، المتمثل في (الأدبية) والذي سمته (الخطاب)، ليجعل من هذين المصطلحين بوابة مشرعة أمام السؤال والبحث والتحليل. أي أن الشعرية لا تكاد تنتهي إلا بانتهاء الإنسان. وهذا يؤكد على فهم الناقد السعيد يقطين مجال الأدب وراهنه.

2- تجاذب الخطاب بين التالظ والملفوظ

ينطلق الناقد يقطين من التلازم بين اللسانيات والأدب الذي بدأه الشكلايون الروس، باعتبارهم الجملة أكبر وحدة قابلة للوصف النحوي، مشيرا إلى أن اللسانيات بوقوفها عند حدود الجملة كوحدة كبرى قد فتحت العديد من التساؤلات والمشاكل، بالنظر لاختلاف اللسانيين فيما بينهم، حيث جمد بعضهم عند حدود الجملة ولم يتجاوزها، بينما تجاوزها آخرون وتخطوا حتميتها.

إن تخطي الجملة معناه- حسب- التوسع في مفهوم الخطاب وحصول الاضطراب وعدم الوضوح، ويكمن ذلك في التسميات التي تأخذ (الوحدة) المجاوزة للجملة، فهي عند البعض (الملفوظ)، وعند آخر (التلفظ)، وعند آخرين (الخطاب) ، ولدى فريق واسع تسمى (النص) وكل مفهوم منها متعدد الدلالات والمعاني.

ومن خلال رصده للعديد من الآراء لتلك المصطلحات التي تتجاذب معنى الخطاب، نجد يصفها بالتقارب لدرجة الانصهار في مدلول واحد أحيانا، وبراها تتباعد إلى حد المفارقة أحيانا أخرى، وكل مصطلح يصطبغ بخاصته (يقطين، 1997، ص16).

الملفوظ: (Enoncé) ينطلق الباحث السعيد يقطين من التعريف الذي حدده لابنس " إن الملفوظ هو كل جزء من أجزاء الكلام يقوم به متكلم، وقبل هذا الجزء وبعده هناك صمت قبل هذا الكلام" بمعنى أن الملفوظ هو الحدث الكلامي الذي يعقب الصمت.

حدد يقطين الملفوظ بوصفه كلاما ينجز وحدة متكاملة دلالية، ولكن هذه الوحدة لها عدة تمظهرات، قد تتجاوز الجملة فتصير خطابا، كما أنها قد تتشكل من كلمة أو مركب أو جملة، وهذه التمظهرات والتحليلات الكثيرة والممكنة في الملفوظ سواء أكان مكتوبا أو شفويا.

التلفظ: يتجاوز هاريس والتوزيميون مفهوم الخطاب بوصفه جملة كما حدده بلومفيد، ويؤكد على وجود الخطاب مربوطا بأنظمة متتالية من الجمل تقدم بنية للملفوظ، بينما تمسك بنفسه والعديد من اللسانيين الغربيين باعتبار التلفظ (Enonciation) الذي يعني الفعل الذاتي لاستعمال اللغة، وتحديد عملية تلفظ اللغة بمستوياتها النغمية والمقامية والسياقية والصوتية هي الخطاب.

يرفض يقطين هذا التجاذب ويقدم ثلاثة استراتيجيات لمفهوم الخطاب: (يقطين، 1997، ص20).

- 1) اختزال الخطاب إلى موضوع بسيط وخطي للجمل كما فعل هاريس.
- 2) ابتعاد الخطاب عن أن يكون موضوعا للسانيات، ونعتبره غير مرتبط باللسان ولكن بالكلام، أي لا يدخل ضمن لم اللسان.
- 3) وضع علم للخطابات يكون موازيا للسانيات، ويكون موضوعه الفعلي واحدا، وموضوعه المعرفي مختلفا، من خلال التمييز بين لسانيات الجملة ولسانيات النص أو الخطاب.

وهكذا نجد أن مصطلح (الخطاب) عند يقطين عائم بين هذه الاستراتيجيات دون أن يحدد لها سعيد يقطين وجهة خاصة به.

3-الحكي والسرد والخطاب: التباس الدلالات

تلتبس مصطلحات، حكي، قصة، خطاب في كتابات سعيد يقطين التباسا واضحا وبخاصة لدى الفئة التي لا تقوى على إدراك السياقات المختلفة للحقول المعرفية، ولا يهتم كثيرا ببناء المصطلح في محاضنه الأصلية. إذ يعتمد سعيد يقطين إلى ربط الحكي مرة مقابلا للقصة (يقطين، 1997، ص19)، عند حديثه عن تمييز بنفيسست المشهور بين القصة والخطاب. وعند حديثه (يقطين، 1997، ص31) عن تمييز جينات بين (récit) و(discours) ، ويجعله حكيا. فيضطرب المتتبع ولا يعرف الفروقات الجوهرية مثلا بين قصة وحكي أم أهما يدلان على مفهوم واحد ؟ أما حين يجمع بين المصطلحين بواو العطف أو (أو) التخيرية، فإن الأمر يصبح أكثر صعوبة في قوله مثلا ((الحكي أو القصة"histoire)) (يقطين، 1997، ص31). وبالصيغة ذاتها أيضا ((إن السردnarration أو الحكيrécit))، فتتضاعف الإشكالات بين ثلاث مصطلحات (récit و histoire و narration) وإذا أضيف مصطلح (discours) يصير الأمر ضربا بأخماس في أسداس. وبخاصة إذا علمنا أن بعض تلك المصطلحات لا تتوفر عليه اللغة الإنجليزيةrécit مثلا سيقود لمن جعل الإنجليزية معينا إلى اضطراب واضح كحال المشاركة الذين لا يميزون بين (récit) و (narration) فهما يعنيان السرد في الحالتين. وذاك ما لا يقصده المصطلح الفرنسي.

لا يستبعد حين يصبح الأمر بمده الطريقة أن يلتبس غلى القارئ الأمور فيتية ولا يقوى على التمييزات الدقيقة التي تبتغيها السرديات الفرنسية على الأقل.. ففي الكلام والخبر الذي يؤسس فيه سعيد يقطين لتوجه علمي جديد لما سبق عرضه في تحليل الخطاب الروائي والقراءة والتجربة يرتبط السرد بالحكي وكأهما يجسدان مفهوما واحدا فالسرد ((يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية)) فيما أن بارث الذي روح لمثل هذا التصور كان يقصد الحكي (récit) وليس (narration) التي تقابل السرد في الجهاز المصطلحي ألمغاربي على الأقل "وذلك لسبب بسيط هو أن القصة والسرد لا يمكن أن يوجد إلا في علاقة مع الحكي. وكذلك الحكي أو الخطاب السردى لا يمكن أن يتم إلا من خلال حكيه قصة وإلا فليس سرديا" (يقطين، 1997، ص40).

إن مثل هذا الاضطراب بين مصطلحات ثلاثة يرى البعض أن المرجعية الفرنسية ذاتها تعاني من الالتباس نفسه إذ العلة فيها راجع إلى "بعض التقسيمات، لا لكونها ثنائية أو ثلاثية، بل لفاعليتها الإجرائية الإستيمولوجية" (إبراهيم، 1990، ص156)، أليس الأمر في الأخير مقترن عند سعيد يقطين بالرغبة في تجاوز السرديات الحصرية وجعلها منفتحة على الخطابات كلها بغض النظر عن مستوى تشكلها مما سيقوده إلى ربط الخطاب بالنص" وعلى اعتبار النص مفهوما مختلفا عن الخطاب، فإن له مكوناته الخاصة به والتي لضمان الانسجام لا يمكن أن تكون إلا توسيعا لمكونات الخطاب" (يقطين، 1997، ص53).

لكن تلك السرديات التي يدعو إليها لا تنمى لما كانت السرديات الفرنسية تؤسس له، فهي تضع حدودا واضحة لموضوع السرديات الذي لا ينبغي أن يكون إلى لفظيا ولا يكون أيضا إلا تخيليا.

4- ميتا حكي وإشكاليات تعدد الدلالات

يمتلك سعيد يقطين رؤية خاصة للتعامل مع المصطلح الوافد، فهو لا يتسرع في وضع المقابلات العربية لما يقترحه الغرب، لأن عملية النقل القائمة على الترجمة فحسب، دون أن تكون على وعي كاف بالجزئيات الدقيقة للمفهوم، ليست ذات قيمة كبيرة عنده. ولعل ذلك ما جعله يعتقد من أن "الذين يعملون على ترويح بعض هذه المصطلحات هم من غير المختصين من المترجمين والباحثين الذين يقتحمون موضوعات لا علاقة لهم بها، ويقترحون مقابلات عربية بدون أخذ الوقت الملائم للتفكير والتدبير" (السهيمي، 2021، ص18).

فالحجوة إلى الترجمة المتسعة للمصطلحات تضيع معها المفاهيم وتلبس وبخاصة إذا كانت غير قادرة على مراعاة الفويرقات الدقيقة للمصطلح الواحد حين تنازعه حقول مختلفة.

لا يتحرج سعيد يقطين في اعتماد التعريب أسلوبا في التعامل مع المصطلحات، عندما يشعر أن المصطلح يفقد فاعليته وخصوصية عند انتقاله إلى لغة غير لغته. فيما الإبقاء على بنيته المرفولوجية يمنحه فرصة الاحتفاظ بعنقوانه الأصلي، ويجعل فرص التلاقي لامتناهية.

لكنه في المقابل يمكن أن يفتح على نفسه أبواب المؤاخذة، وحاملو مثل هذا اللواء تعج بهم الساحة النقدية العربية. تماما مع ترجمة (méta) حيث عمد إلى الاحتفاظ ببنيته الفرنسية دون أن يجد حرجا في إلحاق الرواية بها كقوله ميتا رواية مثلا. ما دامت العربية لا تسعفه في تقديم بديل ترجمي مقبول، متغافلا المقابلات المقترحة مثل الشارحة والواصفة. بل إن البحث المستفيض في بعض صور البلاغة العربية

يمكن أن يدفع البحث إلى استحداث مصطلحات لا تبتعد كثيرا عن الدلالة التي يروم مصطلح (métarécit) الإحالة إليها.

فالانفغات والانصراف لا يتعدان كثيرا عن الشحنة الدلالية التي يحملها ذاك المصطلح. إذ ينصرف الكاتب أو الشاعر عما كان يصفه أو يحكيه ليجعل نفسه طرفا في بناء لم يكن مشارك فعليا فيه. وعادة ما يتم اللجوء إليه متى احتاج الأمر إلى توضيح بدا غامضا عند المتلقي المفترض أو ينجح إلى تقديم توضيحات لما سيأتي من أحداث أو مقاطع وصفية يتوقع السارد الفعلي أو المفترض حدوثها عند المتلقي فيسبق الأحداث ويفسر ما قد يأتي، أو أنه يضع نفسه مكان المتلقي فيتساءل أو يعترض على شاكلة وقد يسأل القارئ الجارية في أكثر من شكل أدبي؟ أو قد يعترض القارئ على ما عرض. وهكذا دواليك.

5- توسيع المفهوم: من السرديات الحصرية إلى السرديات التوسيعية

لا يلتزم سعيد يقطين بالمفاهيم الوافدة التزاما كاملا بل يعد إلى مدارستها وتتبع مساراتها المختلفة ثم إخضاعها للتجريب على نصوص ينتقيها بعناية ليؤسس نقدا جديدا لا تتعارض مفاهيمه مع ما يقترح الغرب.

وقد ينتقل بعض مرحلة التمحيص والتدقيق وإعادة النظر إلى التجديد ضمن إطار النقد الغربي نفسه. فلا يصبح مرددا كما يعتقد البعض (ابراهيم، 1999). أو صدى للنظريات الغربية التي تختلف نصوصها اختلاف جذريا مع النصوص العربية القديمة والحديثة أيضا. بل مقترحا ومظهرا بعض المواقف التي لا يساير فيها الآخر الغربي.

في سبيل تحقيق مثل هذا التوجه، خرج سعيد يقطين من أسر السرديات البنيوية الحصرية التي تلتزم التزاما لا نظير له بما تدعو إليه أو ما تسعى لإذاعته بين الناس. من مثل أن موضوعها الحكى اللفظي لا تخرج عنه.

عمد سعيد يقطين إلى الدعوة منذ كتابه التأسيس الأول (بعض النظر عن الكتاب الأول الذي سماه القراءة والتجريب الذي يعد بداية تأسيسية لتخصص ارتبط مع منجز سعيد يقطين، إلى درجة صار اسمه مقترنا بكل كتاب يضع نفسه ضمن السرديات (Narratologie) نقصد تحليل الخطاب الروائي الزمن السرد التبعير الذي يعد في النقد العربي المعاصر فتحا في الدراسات السردية. إذ وجه سعيد يقطين همه فيه إلى استدعاء مفاهيم السرديات المعاصرة كما تأسست في أحضان الشعرية البنيوية مع

المدرسة الفرنسية (بارث، تودوروف، جنيت..) وإلى رصد كافة التوجهات ضمن المسار نفسه. مرجعا ومعدلا ومقترحا.

إذا كانت السرديات كما تبلورت مع الرواد الفرنسيين قد حصرت مجال اشتغالها على السرد اللفظي لا تخرج عنه، أي أنها لا تتعدى الحكيم المبني بالكلمات أما مادون ذلك فيتعدى اختصاصها. فصح بعد ذلك أن يسمى عملهم بالسرديات الحصرية (**Restreinte**). فيما أن توجه آخر يقابل ما دعا إليه ذلك الجيل يروم تكليف السرديات بمهمات جديدة لم تولد من أجلها.

إن تكليف السرديات بمدرسة اللفظي وغير اللفظي الضارب في التخيلية وما هو غارق في الواقعية يجعلها تنفتح على الخطابات الأدبية وغير الأدبية فيصير من اليسير أن يترجم سعيد يقطين مصطلحها بالسرديات الموسعة مقابلة للسرديات (**généralisée**) على غرار الترجمة المشهورة للبلغة الحصرية والموسعة. وكان يمكن أن يقترح يقطين الرحبة أو العامة لكنه اكتفى بالترجمة الحرفية. غير أن ذلك لا يهم كثيرا إذا علمت الرغبة الملحة ليقطين في الاجتهاد ضمن الوافد، وعدم الاحتفاظ بالجهاز المستعار في صيغته الغربية. وبذلك وجد يقطين عمله ((يتقاطع مع سرديات الخطاب كما نجد عند السرديين) جنيت/ تودوروف) ومع سوسيلوجيا النص الأدبي عند زما دون أن أتبنى أطروحته أو أطبقها من الخارج... إنني أستفيد مما يقدمه دون أن أقحم ذلك على التصور الذي أنطلق منه ولذا يمكن اعتبار العمل الذي أقوم به توسيعا للسرديات أفقيا بأهم الإنجازات التي نجدها في سوسيلوجيا النص الأدبي (يقطين، 1997، ص54).

لا شك أن مثل هذا التوجه سيضع يقطين ضمن جيل محاوره المفاهيم والتفاعل معها وفق خصوصية النصوص العربية ووفق ما يرتضيه الأفق النقدي العربي. ولا يدخله في ضرب من الانتقائية التي لا تخلو من التقدير والاعتساف وسوء التدبير. ومن ثم سنجد يقطين يجسد مثل هذا التوسيع في كتبه اللاحقة على تحليل الخطاب الروائي، حيث سيخصص كتاب الرواية والتراث السردية (العربي، 1992) وانفتاح النص الروائي (يقطين، س، 2001، ص55)، إلى الانتقال من الخطاب إلى النص مما سيسمح له الحديث عن التناص والشيء نفسه سينجزه في الكلام والخبر وقال الراوي.

خاتمة

لا يشتغل سعيد يقطين في مجال استحداث المصطلح النقدي منفردا أو دون مشروع وإنما يعمد إلى التروي والتعامل مع الوافد تعاملًا حذرًا يظهر رزانة علمية، تمنع الانبهار والانقياد وراء ما يتردد في



أواسط همها المواكبة الشكلية وإظهار كثرة الاطلاع. فيما أن العملية النقدية وإن كانت لا تتعارض مع المثاقفة والتفاعل إلا أنها تتطلب حسن التعامل وعدم الخضوع للانتقائية التي تقود إلى سوء تقدير لعدم المفاهيم ومعها المصطلح.

يشكل المصطلح عند سعيد يقطين مجالا حيويا لا يقل أهمية عن المفهوم ذاته، إذ كيف يمكن إدراك أبعاد المفهوم إذا كان المصطلح الحامل له لا تتوفر فيه شروط البناء العلمي الذي يقتضي في أدنى المستويات البحث عن مواعمة بين الدال والمدلول، وأن تكون صفاته مُنمة عن انتماء لهوية واحدة، لا أن يكون خاضعا لاعتبارات شخصية لا تؤمن بأحقية الآخر أن يبدع وأن يقترح. أما حين تخضع عملية ابتداء المصطلحات لنزوات عابرة أو لثقافة قاصرة عن تقدير المنطلقات والأبعاد، فمن شأن ذلك أن يجعل العملية النقدية لا تبتعد عن درجة الإسفاف.

إن التعامل مع المصطلحات الوافدة عند يقطين تكتسي أهمية قصوى لا يقلل من خطورتها إلا جاهل أو مستخف، فالاجتهاد الفردي وإن علا لا يقوى وحده أن يلامس الحقيقة ولا أن يكون قادرا على سد الخلل ورد الاقتراحات. فبدو اتفاق في الحدود الدنيا لا يمكن للتواصل أن يتم، وفي حال عدم ضمان ذلك الحد الأدنى تضيق الجهود وتشتت الطاقات فيمنع تكون وعي مشترك يؤهل الأمة للإسهام في الجهود الإنساني والبقاء على هامش التاريخ.

إن بناء المصطلح عند يقطين لا يمكن أن يوكل لغير المتخصص ولا لغير العرف بالتخصص المعرفي المشتغل حول. فالمتحرج لا يقوى على اقتراح مصطلحات نقدية إن كان ليس على دراية بمجال النقد مثلا، ومن ثم تصبح مهمة اقتراح المصطلحات للناقد نفسه، فهو وعده العرف بمدارات المصطلح وأطره المعرفية، ولكن الناقد هنا هو الذي يكون مطلعاً على ثقافة غيره أما إذا كان أحادي اللغة فعمله لا يرقى إلى مستوى أن يقترح أو يبيد رأيا فيما اقترح.

المراجع:

- 1- سعيد يقطين، (1997)، تحليل الخطاب الروائى الزمن السرد التبيين، المركز الثقافي العربي، المغرب.
- 2- عبد الله إبراهيم، (1990)، المتخيل السردى مقاربات نقدية في التناس والرؤى والدلالة، بيروت الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

- 3- صالح السهيمي، (2012)، حوار الدكتور سعيد يقطين حول التراث السردي، مجلة الراوي، ع25، السعودية.
- 4 - سعيد يقطين، (1992)، الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث، المغرب لبنان، المركز الثقافي العربي.
- 5- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المغرب، لبنان المركز الثقافي العربي.
- 6- ابن منظور، (1997)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط.
- 7- يوسف وغليسي، (1429هـ-2008م)، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الجزائر: منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون.
- 8- الشريف الجرجاني، (1998)، التعريفات، تح: إبراهيم الأنباري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط.
- 9- ممدوح محمد حسارة، علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، دمشق: دار الفكر، [د ط].
- 10- حليلة قادري، (2003)، رحلة السرد السندياد يعود من جديد، دار الكتاب للطباعة والنشر) بيروت، ط.1.
- 11- عبدالقادر شرشار، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، دار القدس (وهران)، ط1، (د ت).